- القسم الثاني :

التحاقلية و التياقنية

التحاقلية

التحاقلية مذهب فلسفي يقول إن الأشياء والحقائق والظواهر كافة مجرد حقول تتفاعل فيما بينها. بالنسبة إلى التحاقلية، بعض الظواهر والحقائق تتحاقل أي تصبح حقلاً واحدًا. ولأن تلك الظواهر والحقائق تحيا في عملية أن تصبح حقلاً واحدًا، إذن تحافظ الظواهر والحقائق على اختلافها عن بعضها البعض فهي مجرد عملية أن تصير حقلاً واحدًا لذا من الممكن دومًا دراسة الظواهر من منطلق أنها واحدة كما من الممكن دراستها من منطلق اختلافها وتعارضها. أما الأشياء والحقائق والظواهر التي لا تتحاقل فهي في صيرورة اللاتحاقل. أي بعض من الظواهر والحقائق هي مجرد عملية لاتحاقلية بمعنى أنها عملية أن تمسي حقولاً مختلفة ومتعارضة. وبذلك أيضًا تحافظ هذه الظواهر والحقائق على توحدها الأصلي رغم تعبيرها عن تعارضها واختلافها، ولذا من الممكن دومًا وصفها متحدة أو منفصلة تمامًا كما من الممكن فعل ذلك مع الأشياء والظواهر التي تتحاقل. هكذا ثمة عمليتان أساسيتان في صناعة الوجود هما التحاقل واللاتحاقل. لكن في كل عملية منهما تغدو الأشياء والظواهر والحقائق حقولاً متفاعلة فيما بينها فإما أن تنسجم فتتوحد في حقل

واحد وإما أن تتعارض فتنفصل. والسبب الأساسي في تصور الأشياء والحقائق والظواهر على أنها حقول هو التالي: الحقول بكونها حقولاً من الممكن أن تتعارض فتنفصل أو تنسجم فتتحد كالحقول الكهربائية والمغناطيسية. لكن الأشياء والظواهر والحقائق كافة تتعارض وتنفصل أو تنسجم وتتحد. من هنا على الأرجح كل الأشياء والظواهر والحقائق مجرد حقول في تفاعل دائم ومستمر. التحاقلية مصطلح مشتق من التحاقل المشتق بدوره من الحقل. التحاقلية فلسفة التحاقل.

تحاقلية العقل والعالم

تعتبر التحاقلية أن العقل والعالم حقلان يتحاقلان. وهذا يعني أنهما يحيان في عملية أن يصبحا حقلاً واحدًا، وبذلك يحافظ كل من العقل والعالم على هويته وصفاته المختلفة عن الآخر لكن في الوقت نفسه يتشابك العقل والعالم ويشكّلان تقريبًا حقلاً واحدًا يسعى باستمرار ليتحقق بشكل دائم. هكذا العقل يختلف عن العالم لكنه متصل ومتحد به لأن العقل والعالم في صيرورة أن يمسيا حقلاً واحدًا. الآن، بما أن العقل والعالم يتحاقلان بمعنى أنهما يسيران في مسيرة أن يصبحا حقلاً واحدًا، إذن من المتوقع أن يدرك العقل العالم وبذلك المعرفة ممكنة ومتاحة لنا. لكن بما أنهما يتحاقلان بدلاً من أن يكونا حقلاً واحدًا بالفعل، إذن من الممكن أن تفشل بعض معارفنا ولذا المعرفة عملية تصحيح مستمرة كما هي بالضبط. هكذا تنجح التحاقلية من تفسير إمكانية المعرفة وفشل بعض معارفنا ولماذا المعرفة مجرد عملية تصحيح مستمرة.

تحاقلية العقل والجسد

بالنسبة إلى التحاقلية، العقل والجسد حقلان يتحاقلان بمعنى أنهما في صيرورة أن يمسيا حقلاً واحدًا، وبذلك يتفرد العقل عن الجسد ويختلف عنه وفي الوقت ذاته يتشابك العقل والجسد ويتحدان. هكذا تنجح التحاقلية في التعبير عن اختلاف العقل عن الجسد وارتباطهما وتشابكهما في آن. فرغم أن العقل يختلف عن الجسد، العقل والجسد يتحاقلان أي يسيران في عملية أن يصبحا حقلاً واحدًا ولذا يتحدَّد العقل على ضوء جسده والعكس صحيح. الجسد يرى ويسمع ويحس ويفعل إلخ من خلال عقله، والعكس صحيح أيضًا. وتفسير ذلك أنهما يتحاقلان. فبما أن العقل والجسد يحيان في صيرورة أن يمسيا حقلاً واحدًا، إذن من الطبيعي أن يحيا الجسد على ضوء عقله وأن يحيا العقل على ضوء جسده. كما يتجسد العقل في أجساد وأجناس حيوانية مختلفة، وبذلك العقل يشكّل حقلاً مختلفًا عن حقل الجسد. لذا العلاقة بين العقل والجسد علاقة تحاقل علمًا بأن التحاقل يتضمن اختلاف الحقول كما يتضمن تحوّلها المستمر إلى حقل واحد. فبما أن العقل والجسد يتحاقلان

فيحيان في مسيرة تحولهما إلى حقل واحد، إذن من الطبيعـــي أن يختلف العقل عن الجسد وأن يتجسد العقل في أجـــساد وأجنـــاس مختلفة وأن يتشكّل العقل على ضوء الجسد وأن يتـــشكّل الجـــسد على ضوء العقل أي مـــن الطبيعـــي أن يتحـــدا ويتـــشابكا رغـــم اختلافهما.

تحاقلية الحياة

بالنسبة إلى التحاقلية، تشكّل الحياة حقــلاً يتحاقــل مــع الحقــول الطبيعية الأخرى. فمثلاً المادة حقل تمامًا كما الحياة، لذا تتحاقــل المادة والحياة. وهذا يفسِّر انقسام المادة إلى مادة حية ومادة غير حية ولماذا من الممكن نشوء الحياة من المادة غير الحية. فبما أن المادة والحياة تتحاقلان بمعنى أنهما تسيران نحو أن تصبحا حقلاً واحدًا، إذن من الطبيعي أن تنشأ الحياة من المادة غير الحية وأن تنقسم المادة إلى مادة حية وغير حية. هكذا تنجح التحاقلية مــن تفسير الحقيقتين السابقتين. بالإضافة إلى ذلــك، بمــا أن الحيــاة والمادة تتحاقلان، إذن من المتوقع أن تنمو الحياة في مواد عديدة ومختلفة فتنجح الحياة في الانتشار في أصعب الظروف كأن تحيــا الحياة في السوائل السامة وفي مساكن البراكين الملتهبــة. هكــذا تتمكن التحاقلية من تفسير تنوع الحياة وانتشارها الواسع.

تحاقلية اللغة

تعتبر التحاقلية أن اللغة حقل يتحاقل مع الحقول المختلفة في الوجود. فمثلاً تتحاقل اللغة مع حقل الكون فيغدو الكون لغة حيث كل شيء في الوجود يصبح رمزًا من الممكن قراءته ومن خلال ربط الرموز المختلفة للكون من الممكن قراءة الكون كخطاب لغوي ذي معلومات وفحوى. كما تتحاقل اللغة مع حقل الواقع فتغدو اللغة تعبيرًا عن الواقع. وتتحاقل اللغة مع حقل الوجود البشري فتصبح اللغة أداة تواصل وتفاهم بين البشر. كما تتحاقل اللغة مع حقل العالم البيولوجي فتمسي اللغة مجموعة القواعد الموجودة في أدمغة البشر أو تغدو فطرية وعالمية تولد في الإنسان مع ولادته. هكذا تنجح تحاقلية اللغة في التعبير عن إمكانية ونجاح تعريف اللغة بطرق مختلفة. أي تنجح التحاقلية في تفسير لماذا من الممكن تحليل اللغة على أنها تعبير عن الواقع ولماذا من الممكن أيضًا تحليلها على أنها أداة للتفاهم والتواصل بين البشر ولماذا من الممكن اعتبارها فطرية بيولوجية ولماذا أيضًا من الممكن اعتبار الكون كله مجرد لغة. من هنا تكتسب التحاقلية قدراتها التعبيرية والتفسيرية فمقبوليتها.

تحاقلية العلم والنجاح

النظرية العلمية هي النظرية الناجحة من تفسير الظواهر الطبيعية والتنبؤ بها. لذا النظريات العلمية ناجحة. نجاح النظريات العلمية لا يحتاج إلى تفسير إضافي سوى كون تلك النظريات علمية. فتعريف النظرية العلمية هو أنها النظرية الناجحة، وهذا يفسِّر نجاح النظريات العلمية من خلال مفهوم العلم ذاته بدلاً من تفسير نجاح العلم من خلال علاقات سببية. فلا معنى للنجاح خارج نطاق العلوم، ولذا من الطبيعي أن تنجح العلوم وتفشل الأساطير مثلاً.

بالنسبة إلى التحاقلية، يتحاقل العلم والنجاح بمعنى أنهما يشكّلان حقليْن لكن كل حقل منهما يحيا في صيرورة أن يغدو متحدًا مع الحقل الآخر. فحقل العلم يتحاقل مع حقل النجاح لأنهما في عملية أن يصبحا حقلاً واحدًا. لذا يتشابك حقل العلم وحقل النجاح، وبذلك لا معنى للنجاح خارج ميدان العلوم ولذا العلم ناجح من تفسير الكون والتنبؤ بظواهره. هكذا تفسِّر التحاقلية نجاح العلوم؛ فالعلم ناجح لأن العلم والنجاح يتحاقلان. وهذا يفسِّر أيضًا لماذا تفشل بعض العلوم؛ فمثلاً فشلت نظرية نيوتن في أن تكون صادقة فبالفعل هي كاذبة رغم نجاحها من تفسير الظواهر. فبما أن العلم والنجاح يتحاقلان، إذن هما في عملية أن يصبحا حقلاً واحدًا

وبذلك لا يتطابق حقل العلم وحقل النجاح بشكل كامل ولذا من الطبيعي أن تفشل بعض العلوم في ميدان أو آخر.

أما إذا كانت النظريات العلمية ناجحة لأنها صادقة فهذا لا يفسِّر لماذا توجد بعض النظريات العلمية الناجحة رغم أنها كاذبة كنظرية نيوتن. أما إذا كانت النظريات العلمية ناجحة لأنها تتصارع فيبقى الناجح منها فقط أو لأنها نتيجة قدراتنا العقلية القادرة على إنتاج نظريات ناجحة أو لأن النظريات العلمية تحدِّد التجارب العلمية فلا تتمكن التجارب العلمية سوى أن تؤكد على نجاح النظريات العلمية، حينها لابد أن تنجح النظريات الفلسفية والدينية تمامًا كما تنجح النظريات العلمية وهذا خلاف الواقع لكون النظريات الفلسفية والدينية في صراع فيما بينها وفقط الأنجح يبقى أو لكونها نتائج لقدراتنا العقلية أو لأن تقييمها لا يتم إلا على ضوء منظومتها بالذات. من هنا من الأفضل اعتبار أن العلم والنجاح حقلان يتحاقلان وبذلك لا معنى للنجاح خارج ميدان العلم ولذا العلم ناجح.

تحاقلية الميادين المعرفية والإبداعية

تتحاقل الميادين المعرفية والإبداعية بمعنى أنها تشكّل حقولاً متنوعة لكن رغم تنوعها تتجه نحو أن تصبح حقلاً واحدًا. مثل ذلك أن الفيزياء والبيولوجيا تشكّلان حقليْن مختلفيْن لكنهما في صيرورة أن يتحدا في حقل واحد. فنجد مثلاً البيولوجيا المُطبَّقة على الفيزياء ونحصل بذلك على البيوفيزياء التي تعتبر مثلاً أن الكون كائن حي ينجب أكوانًا عدة وتتوارث الأكوان صفات آبائها. وهذا يجعلنا نتوقع أيضًا نشوء الفيزيوبيولوجيا التي تدرس الحياة على أنها منتظمة ومكوَّنة كالكون الفيزيائي تمامًا. ومثل ذلك أيضًا اعتبار الكون مجرد كومبيوتر أي آلة متطورة معتمدة على تدفق المعلومات واعتبار الحياة أيضًا مجرد كومبيوتر متطور. وهذا ما يحدث في العلوم المعاصرة بالضبط. من جهة أخرى، تتحاقل الميادين الإبداعية فتشكّل حقولاً مختلفة لكن متجهة نحو تكوين حقل واحد. مثل ذلك نشوء الشعر العلمي الذي يزاوج بين الشعر والعلوم فيبني نصوصه الأدبية والشعرية على ضوء العلم.

تحاقلية المعارف

تتحاقل المعارف بمعنى أنها تشكّل حقولاً عدة تتجه نحو أن تمسي حقلاً واحدًا. بما أن المعارف تتحاقل بهذا المعنى، إذن تحافظ المعارف على اختلافها وتنوعها ورغم ذلك تغدو متحدة ومتشابكة. هكذا تتمكن التحاقلية من تفسير اختلاف المعارف رغم تشابكها. فمثلاً، العلم يشكّل حقلاً مختلفًا عن حقل الفلسفة؛ فبينما العلم يخضع للاختبار على ضوء الواقع فيتم تصديقه أو تكذيبه، الفلسفة لا تخضع لذاك الاختبار ولا يوجد معيار واحد متفق عليه لتصديق النظريات الفلسفية أو تكذيبها. لكن رغم ذلك تتحاقل الفلسفة والعلم فيتجهان نحو أن يصبحا حقلاً واحدًا. مثل ذلك اعتماد الفلسفة على علوم عصرها من أجل صياغة نظرياتها الفلسفية، وتحوّل الأسئلة الفلسفية المحضة إلى أسئلة في العلم كتحوّل سؤال لماذا يوجد وجود أصلاً بدلاً من عدم من حقل الفلسفة المجردة إلى حقل العلم التطبيقي. هكذا تتزاوج الفلسفة والعلم لأنهما حقلان يتحاقلان فيحافظان على اختلافهما كما يحافظان على وحدتهما وتشابكهما.

تحاقلية المعاني

بالنسبة إلى التحاقلية، تتحاقل المعاني أي تسير نحو أن تغدو حقلاً واحدًا. فكل معنى يشكّل حقلاً مختلفًا عن المعاني الأخرى التي تشكّل حقولاً مختلفة. لكن رغم ذلك كل حقول المعاني تتجه نحو أن تمسي حقلاً واحدًا حاويًا على معنى واحد موحَّد. وبما أن المعاني تمشي نحو أن تصبح معنى واحدًا متحدًا، إذن تحافظ المعاني على اختلافها وتنوعها كما تضمن اتحادها وتشابكها في آن. كل هذا يفسِّر لماذا ننجح في تحليل معاني المفاهيم واختزالها إلى معانٍ أخرى رغم اختلافها. فبما أن المعاني تتحاقل أي تسير نحو أن تغدو واحدة، إذن من الممكن اختزال المعاني المختلفة إلى معنى واحد كتحليل أينشتاين للجاذبية واختزالها إلى مجرد انحناء الزمكان. من جهة أخرى، بما أن المعاني تتحاقل أي تحيا في صيرورة أن تصبح معنى واحدًا، إذن تحافظ المعاني على اختلافها وتشابكها في آن، وبذلك من الطبيعي أن تتعدد وتختلف التحليلات للشيء أو المفهوم ذاته بسبب اختلاف المعاني وأن تكون كلها تحليلات ناجحة بسبب تشابك المعاني. مثل ذلك تحليل بعض

العلماء للكون على أنه كومبيوتر متطور، وتحليل بعضهم للكـــون على أنه عقل متفوق، وتحليل آخرين للكون على أنه كـــائن حـــي. هكذا تتمكن التحاقلية من تفسير تنوع التحليلات ونجاحهـــا رغـــم اختلافها.

تحاقلية الحقائق

تتحاقل الحقائق أي تتجه نحو أن تصبح حقلاً واحدًا وبذلك تضمن اختلافها رغم وحدتها وتشابكها. هكذا تفسِّر التحاقليـــة اخـــتلاف الحقائق وتشابكها في آن. مثل على تحاقلية الحقائق هو التـــالي: يتحاقل العدم والوجود بمعنى أنهما يشكّلان حقليْن مختلفيْن لكنهما يتجهان نحو أن يمسيا حقلاً واحدًا. لذا ينجح العلم في وصف العدم وتفسيره على أنه حاوٍ على طاقات مختلفة تمامًا كالوجود. هكـــذا تتمكن التحاقلية من تفسير لماذا ننجح في وصف العدم على أنـــه كالوجود تمامًا رغم اختلاف العدم عن الوجـــود؛ فالعـــدم نقـــيض الوجود. حقيقة العدم تختلف عن حقيقة الوجود؛ هذا ما يتـــضمنه معنى العدم ومعنى الوجود. لكن رغم ذلك العدم يتـــصف بـــصفات الوجود لأنه يحتوي على طاقات متعارضة مختزلة لبعضها البعض ولأنه يتضمن الجسيمات الافتراضية كما تؤكد العلـــوم. مـــن هنـــا نسأل: كيف من الممكن أن تختلف حقيقة العدم عن حقيقة الوجود وأن تكون حقيقة العدم متصفة بصفات حقيقة الوجـــود فـــي آن؟ جواب ذلك أن العدم والوجود يتحاقلان أي يتجهان نحو أن يصبحا

حقلاً واحدًا، وبذلك يحافظان على اختلافهما كما يحافظـــان علـــى تشابكهما في الوقت نفسه بسبب انتقالهما المستمر نحو أن يتحـــدا في حقل واحد. هكذا تتحاقل الحقائق فتبقى مختلفة رغم اتحادهـــا وتشابكها.

اللامحدَّد أصل التحاقل

لكن كيف من الممكن أن تتحاقل الأشياء والحقائق والظـواهر أي أن تحافظ على اختلافها ووحدتها وتشابكها في آن؟

جواب ذلك كامن في أن الأشياء والحقائق والظواهر غير محـدَّدة فبما أنها غير محدَّدة، إذن من الممكن أن تكون متحدة ومتـشابكة فيما بينها وأن تكون في الوقت نفسه مختلفة ومتنوعـة. فعنـدما يكون الشيء أو تكون الظاهرة غير محدَّدة الماهية والصفات، إذن من الطبيعي أن تكون كالأشياء أو الظـواهر الأخـرى وأن تكـون مختلفة عنها في آن. على هذا الأساس، التحاقـل آليـة طبيعيـة مصدرها مبدأ اللامحدَّد الحاكم للوجود والكون. فمن خلال تحاقـل الأشياء والظواهر يحافظ الكون على لامحدديته. إذا لم تكن الأشياء والظواهر تتحاقل لن تكون متجهة نحو أن تمـسي حقـلاً واحـدًا وبذلك لن تكون مختلفة ومتحدة في آن. ولـو لـم تكـن مختلفـة ومتحدة في آن، لكانت إما مختلفة وإما متحدة وبذلك لكانت محدَّدة ما إذا كانت متحدة أم مختلفة. لذا التحاقل يضمن لامحددية الوجود والكون.

التياقنية

التياقنية مذهب فلسفي مفاده أن المعارف والوقائع تتياقن أي تحيا في سعيها الدائم نحو أن تتطابق فلا تتطابق بشكل كامل ولا تختلف بشكل كامل. بالنسبة إلى التياقنية، تتياقن المعارف أي تسعى في عملية مستمرة نحو أن تصبح يقينيات وبذلك تحافظ على لايقينياتها. من هنا رغم أن كل معتقداتنا مجرد لايقينيات فهي تتياقن أي تعبر في صيرورة دائمة كي تغدو يقينيات وبذلك لا يتحقق اليقين فعلاً لأنه مجرد هدف. هكذا تحيا المعرفة على لايقينياتها التي تتياقن باستمرار. وتضيف التياقنية قائلة إنه متى تيقنت بشيء يتحدَّد هذا الشيء على ضوء ما تيقنتَ منه.

لكن تيقناتنا تختلف من فرد إلى آخر، وبما أنه متى تيقنا بشيء تحدد هذا الشيء على أساس ما تيقنا، إذن تحافظ الأشياء والوقائع على لامحدديتها. ولأن الأشياء والوقائع غير محدَّدة إذن لا تطابق كامل ولا اختلاف كامل بين المعارف والوقائع، وبذلك تتياقن المعارف والوقائع في سعيها المستمر نحو أن تتطابق.

للتياقنية أساسان علميان هما: أولاً، بالنسبة إلى ميكانيكا الكمّ، من غير المحدَّد ما إذا كانت قطة شرودنغر حية أم ميتة، لكن متى نظرنا إليها وأدركناها تغدو تلك القطة إما حية وإما ميتة. على هذا

الأساس متى تيقنا بشيء تحدَّد هذا الشيء على ضوء تيقننا به. ثانيًا، العلم يعتمد على اللايقين كما يؤكد العديد من العلماء لكنه يهدف إلى تحقيق اليقين ولذا يبقى العلم في صيرورة البحث عن اليقينيات لأنه يحيا فعلاً على أساس لايقينياته، ولذا العلم عملية تصحيح مستمرة ما يضمن استمرارية أبحاثه. من هنا تتياقن المعارف كما تقول التياقنية تمامًا؛ أي تحيا المعارف في ديمومة هدفها ألا وهو أن تغدو يقينًا فيبقى اليقين هدفًا وتبقى معارفنا لايقينية. التياقنية مصطلح مشتق من التياقن المشتق بدوره من اليقين. التياقنية فلسفة التياقن. لكن لماذا تتياقن المعارف فلا تطابق الواقع بشكل كامل ولا تختلف عنه بشكل كامل وتحيا في صيرورة دائمة نحو أن تصبح يقينيات؟ يكمن السبب الفيزيائي في أن المعرفة تشكّل حقلاً مختلفًا عن حقل الواقع واليقين، لكن كلاً من الحقليْن هذيْن يتحاقلان أي يسيران دومًا نحو أن يتحدا في حقل واحد تمامًا كما تختلف حقول القوى الطبيعية (كالقوى الكهربائية والمغناطيسية والجاذبية والقوى النووية) وتتحد في آن. وهذا يفسِّر فشل بعض معارفنا ونجاح بعضها الآخر.

تياقنية العلم

تعتبر التياقنية أن العلم يتياقن أي يتجه نحو أن يغدو يقينًا ومطابقًا للواقع الآن، بما أن العلم يحيا في صيرورة أن يصبح يقينًا ومطابقًا للواقع، إذن لا يتطابق العلم مع الواقع بشكل كامل لذا من الطبيعي أن تظل النظريات العلمية ناقصة وفاشلة من تفسير بعض الظواهر كما من المتوقع أيضًا نشوء نظريات علمية عدة مختلفة واستبدال النظريات العلمية بنظريات علمية أخرى بشكل دائم ففقط لو كان العلم مطابقًا بشكل كامل للواقع أو لو كان يقينًا ما كان العلم حينها ليستبدل نظرياته بأخرى هكذا تفسّر التياقنية مسيرة العلم واستبداله المستمر للنظريات العلمية بنظريات أخرى من جهة أخرى، بما أن العلم يحيا في سيره نحو أن يمسي مطابقًا للواقع ويقينًا، إذن من الطبيعي أن تنجح النظريات العلمية في العديد من مهامها التفسيرية هكذا تتمكن التياقنية أيضًا من تفسير نجاح العلوم.

تياقنية الوجود

بالنسبة إلى تياقنية الوجود، كلما تعلّمنا شيئًا علّمناه كيف يكون. مثل علمي على ذلك هو أننا فقط حين ننظر إلى قطة شرودنغر وندركها تكون إما حية وإما ميتة، وبذلك عندما نتعلم ما حالة تلك القطة نعلّمها أن تكون إما حية وإما ميتة. مثل آخر على ذلك هو التالي: النظرية تخلق الواقع تمامًا كما الواقع يخلق النظرية. فنحن نتعلم النظرية على ضوء الواقع، لكن عندما نملك النظرية فهي تخلق الواقع بدورها لأننا حين نعتقد بالنظرية نتصرف على أساسها وبذلك نشكّل الواقع على ضوئها. فمثلاً تعلّمنا أن المجتمع يتكوّن من طبقات مختلفة. لكن عندما تترسخ هذه النظرية لدى المجتمع يبدأ ينظر بجدية إلى الطبقات ووجودها فيتصرف على أساسها ما يؤدي إلى خلق الطبقات على ضوء نظريتنا عنها، وبذلك نعلّم المجتمع أن ينقسم إلى طبقات ولولا ذلك لظلت الطبقات أمرًا غامضًا وغائبًا عن فكرنا وتصرفنا. كما أننا نتعلم عن صراع الحضارات وإذا ما تعلمنا ذلك سنتصرف على أساس علمنا فنحقق صراع الحضارات. هكذا ما نتعلّمه نعلّمه بدورنا كيف يكون.

تياقنية المعرفة

بالنسبة إلى تياقنية المعرفة، المعرفة ليست هي اليقين وليست هي الجهل بل هي مجرد المسافة الفاصلة بين الجهل واليقين. هذا يعني أن المعرفة تسكن في المنطقة الوسطى بين الجهل واليقين؛ فثمة خيار ثالث مختلف عن الجهل واليقين ألا وهو المعرفة. هكذا المعرفة أصلها وأساسها اللايقين وهدفها اليقين لكنها تحيا في حقل يفصل بين الجهل واليقين. من هنا معارفنا غير يقينية لكنها معارف لأنها ليست جهلاً. تعتبر التياقنية أننا في حالة تياقن أي في مسعى دائم نحو تحقيق اليقين وبذلك منطلقنا دومًا هو اللايقين ولذا تبقى المعرفة عملية تصحيح مستمرة. وتؤكد التياقنية على الاختلاف بين اليقين والتياقن. فبينما اليقين هو الاعتقاد الصادق الذي من غير الممكن أن يكون كاذبًا، التياقن هو اعتقاد صادق من الممكن أن يكون كاذبًا. ولذا بما أن معرفتنا عملية تياقن بدلاً من يقين، إذن معرفتنا معرضة للتكذيب والتصحيح بشكل دائم. هكذا تفسِّر التياقنية صيرورة المعرفة وديمومتها واختلافها. التياقن مجموعة المعارف الصادقة في الأكوان الممكنة، وبما أنها صادقة في أكوان ممكنة قد تتشابه مع عالمنا الواقعي أو تختلف عنه، إذن من الممكن أن تكون كاذبة في عالمنا. وبما أن التياقن مجموع

المعارف الصادقة في العوالم الممكنة، إذن التياقن يشكّل معرفة، وهي المعرفة الوحيدة المتاحة لنا. فلو كانت المعرفة غير التياقن ولو أنه متاح لنا معرفة غير التياقن ما كانت المعرفة لتكون عملية تصحيح مستمرة كما هي بالفعل. من هنا التياقن هو خلاصنا الوحيد من كذب اللايقين وخداع اليقين.

تياقنية اللغة

بالنسبة إلى التياقنية، الأشياء والمعارف تتياقن، أي المعرفة في صيرورة أن تغدو مطابقة للواقع فتحافظ على اختلافها عن الواقع كما تحافظ على شبهها به. من هذا المنطلق، تتياقن اللغة ومعرفتنا بها، أي متى تيقنا بمعرفة لغوية نُيقّن اللغة معرفة منا؛ فكلما تعلمنا من لغتنا علّمناها كيف تكون. هكذا حقل اللغة وحقل معرفتها يتحاقلان أي هما في صيرورة أن يصبحا حقلاً واحدًا؛ فلا فرق جذري بين ما هو حقيقي وصادق ومقبول في اللغة وما نعرف عنها. بذلك اللغة تشكّل معرفتنا عنها كما أن معرفتنا باللغة تشكّلها. هكذا تتياقن اللغة ومعرفتنا بها. فاللغة كما هي غير منفصلة عن معرفتنا بها؛ بل اللغة تعتمد على ما نعرف عنها وبها كما أن معرفتنا للغة تعتمد على اللغة كما هي. من هنا اللغة مستقلة عنا ومرتبطة بنا في آن. من دوننا ثمة لغة لكنها لغة بلا شكل أي بلا حروف وكلمات وجُمل. وهذه اللغة المستقلة كليًا عنا هي الكون ذاته لأن الكون مجموع عمليات تبادل المعلومات. لكن عندما نستخرج مضامين تلك المعلومات المشكّلة للكون وللأكوان الممكنة تغدو اللغة مرتبطة بنا بالضرورة وتتجسد في حروف وكلمات وجُمل.

الآن، من منطلق تياقنية اللغة، كلما تيقنا بشيء في اللغة تحقق هذا الشيء وأصبح واقعًا لغويًا مقبولاً، وكلما تعلّمنا من اللغة علّمناها بدورنا. مثل ذلك هو التالي: الطفل ينجح في تركيب عبارات لغوية سليمة قواعديًا رغم عدم تعلّمها. سبب ذلك أنه كلما تعلّم الطفل من لغته علّمها ما يمكن أن يُفعَل بها ويُركَّب فيها. لذا من الطبيعي أن ينجح الطفل في امتلاك لغته وقواعدها رغم نقص تعلّمه لها. هكذا إذا تيقن الطفل بإمكانية تحقق قاعدة لغوية من دون أن يتعلمها تتحقق تلك القاعدة وتصدق، ولذا لا يفشل الطفل في صياغة لغته. فالإنسان يتيقن بالممكنات كونها ممكنات، ولأنها ممكنات إذن من الطبيعي أن تتحقق في الواقع في زمن أو آخر.

إذا كانت اللغة مكتسبة لاحتاج الطفل إلى زمن طويل ليتعلّم لغته، وهذا خلاف الواقع. أما إذا كانت اللغة فطرية تولد في الإنسان مع ولادته ما كان الطفل ليحتاج إلى دراسة لغته، وهذا أيضًا خلاف الواقع. من هنا تنمو تياقنية اللغة حيث يُعلِّم الطفل لغته كلما تعلّمها. فالطفل يختبر ما الممكنات المختلفة في صياغة العبارات اللغوية. وتظهر الصياغات الممكنة سليمة لأن أي لغة تسمح بصياغات ممكنة متنوعة وعديدة إن لم تكن لا متناهية في العدد. لذا ينجح الطفل في النطق بلغة سليمة.

مثل ذلك هو التالي: من السليم لغويًا أن نقول «ذهب الولد إلى البيت». لكن من السليم لغويًا أيضًا أن نقول «الولد ذهب إلى

البيت» كما من الممكن لغويًا القول «إلى البيت ذهب الولد». هكذا الممكنات اللغوية تتكثر ما يضمن نجاحنا في صياغة عبارات اللغة. وهذا يفسِّر نجاح الطفل في امتلاك لغته كما يفسّر نجاح البشرية في صياغة لغاتها. كما من الممكن أيضًا وصف الكون بأوصاف عدة ومختلفة كأن نصفه على أنه كومبيوتر أو كائن حي أو موسيقى إلخ كما يفعل بعض العلماء والفلاسفة. وسبب ذلك أنه كلما تعلّمنا ما هو الكون علّمناه ما يكون، وبذلك تنجح أوصافنا له رغم اختلافها. فالكون مجموع الممكنات ما يسمح له أن يتعلّم منا ما يكون؛ فكما تقول ميكانيكا الكمّ كل التواريخ الممكنة محققة في الوجود ما يضمن لامحددية الكون وتحديده فقط من خلال وعينا.

تياقنية المعنى

بالنسبة إلى التياقنية، أي مفهوم أو أية عبارة تسعى إلى أن تملك معنى مُحدَّدًا. وبذلك معاني العبارات والمفاهيم غير محدَّدة ما يستدعي وجود تفاسير عدة ومختلفة لأي مفهوم أو خطاب أو عبارة. هكذا تفسِّر التياقنية تعدد التفاسير وتنوعها من خلال فرضيتها القائلة بأن هدف أي مفهوم أو عبارة هو أن يملك المفهوم أو العبارة معنى مُحدَّدًا. وبما أن وظيفة أي مفهوم أو أية عبارة كامنة في تحقيق معناها المُحدَّد، إذن لا يتحقق معناها المُحدَّد بشكل كامل وحق وإلا خسرت وظيفتها فوجودها. من هنا وظيفة المفهوم أو العبارة تضمن استمرارية البحث عن معاني أي مفهوم أو عبارة ما يحتم استمرارية البحث المعرفي والعلمي، وهذه فضيلة أخرى للمذهب التياقني. فبما أنه تكمن وظيفة المفهوم أو العبارة في تحقيق المعنى المحدَّد للمفهوم أو العبارة ما يستلزم لامحددية معاني المفاهيم والعبارات اليوم والبارحة، إذن لابد من الاستمرار في البحث عن معانيها المحدَّدة ما يضمن استمرارية البحث العلمي والمعرفي. هكذا تفسِّر التياقنية لماذا تسعى العلوم والفلسفة بشكل دائم إلى تحديد معاني المفاهيم

والعبارات فتنتج نظريات عدة ومختلفة لتقوم بذلك فتتنوع الخطابات العلمية والفلسفية.

من جهة أخرى، تنقسم الفلسفة التقليدية إلى اتجاهيْن: الأول يعتبر أن للمفاهيم والعبارات معانٍ محدَّدة، والثاني يقول إن للمفاهيم والعبارات معانٍ غير محدَّدة. لكن بالنسبة إلى التياقنية، تهدف المفاهيم والعبارات إلى تحقيق معانيها المحدَّدة، وبذلك لها معانٍ محدَّدة لكنها مجرد أهدافها كما لها معانيها غير المحدَّدة وهي مجرد وضعها الماضي والحالي. وبذلك تجمع التياقنية بين الاتجاهيْن المتنافسيْن في محاولة تخطيهما. فالمعاني محدَّدة من جهة، وغير محدَّدة من جهة أخرى. فهي محدَّدة لكننا لم نحددها بعد، وهي محدَّدة وإلا سعينا إلى اكتشاف المعاني المحدَّدة سعي باطل فتبطل العلوم والفلسفة. وهي غير محدَّدة لأننا بالضبط لم نحددها بعد. الآن، بالنسبة إلى التياقنية، يتياقن المفهوم ومعناه، وتتياقن العبارة ومعناها. أي يسعى المفهوم سعيًا دائمًا إلى تحقيق معناه فلا يطابقه ورغم ذلك لا يلغيه، وتسعى العبارة سعيًا مستمرًا إلى تحقيق معناها فلا تطابقه ولا تقصيه. هكذا أية ظاهرة هي مجرد عملية تحقيق لذاتها فتتقلب بين أن تكون ذاتها وأن تكون غير ذاتها.

تياقنية العقل

بالنسبة إلى التياقنية، يتياقن العقل بمعنى أنه يسعى إلى التطـــابق مع ذاته والتيقن بنفسه. بما أنه يهدف إلى التطـــابق مـــع نفـــسه والتيقن بها، إذن يغترب عن ذاته الحاضـــرة الآن فيتطـــابق مـــع عقول عدة ومختلفة ما يجعله متطابقًا مع العقل كميول للتـــصرف ومع العقل كوظائف معينة ومع العقل كدماغ بيولوجي إلخ. هكـــذا تفسِّر التياقنية لماذا ننجح في وصف العقل بأوصاف ونظريات عدة ومختلفة. فبمجرد أن يسعى العقل إلى التطابق مع ذاتـــه والتـــيقن بها، هذا يجعله مختلفًا عن نفسه فيتنوع ويتـــشعب إلـــى عقـــول مختلفة منها العقل كميول للفعل والعقل كدماغ فسيولوجي والعقـــل كوظائف تربط المنبهات بالاستجابات.

بالإضافة إلى ذلك، بما أن وظيفة العقل الأساسية هي أن يتطـــابق مع ذاته ويتيقن بها، إذن لابد أن يكون سعيه هذا سعيًا مستمرًا لا ينتهي لأن بانتهاء سعيه هذا يخسر وظيفته الأساسية فوجوده. من هنا سعي العقل إلى التطابق مع ذاته والتيقن بها ســـعي مـــستمر ودائم؛ فلا يحقق التطابق مع ذاته ولا التيقن بها، وهـــذا أســـاس سعيه الدائم نحو هذا التطابق وذاك التيقن. الآن، بمـــا أن العقـــل يهدف باستمرار وبشكل دائم إلى التطابق مع ذاته والتـــيقن بهـــا،

إذن من المتوقع أن يكون العقل في حالة تغير وتبدل وتطور مستمر لأن فقط بالتغير والتبدل والتطور من الممكن للشيء أن يسعى إلى التطابق مع ذاته فالتيقن بها. هكذا تفسِّر التياقنية لماذا العقل في تغير وتبدل وتطور دائم كما تفسِّر لماذا كل شيء في تغير وتبدل وتطور؛ فكل شيء يسعى سعيًا مستمرًا إلى التطابق مع ذاته والتيقن بها لأنه مجرد حقل يحتاج إلى أن يُخلَق باستمرار. لكن في سعي كل شيء إلى التطابق مع ذاته والتيقن بها يتطابق مع المختلف عنه فيتنوع الشيء ذاته ويغدو مختلفًا دومًا عن ذاته بينما هو مجرد عملية تطابق مع نفسه والتيقن بها. هكذا العلاقة السوبرجدلية تحكم علاقة الشيء بذاته فتجعله مختلفًا عن نفسه رغم أنه مجرد سعي إلى التطابق مع ذاته والتيقن بها.

تياقنية الأنا والآخر

تتياقن الأنا والآخر. هذا يعني أن الأنا تسعى سعيًا مستمرًا إلى أن تتطابق مع الآخر لتتيقن به فبذاتها. لكن بما أن الآخر آخر بالنسبة إليها، إذن لن تتطابق معه، وبذلك تبقى في سعيها الدائم نحو أن تكون الآخر فلا تتيقن به ولا بذاتها. وعدم التيقن بالآخر يستدعي عدم التيقن بذاتها لأن من خلال الآخر تُحدِّد ذاتها على ضوء اختلافها. وعدم تيقنها بالآخر وذاتها يدفعها نحو الاستمرار في السعي إلى اكتشاف ذاتها والآخر ما يضمن إرادة البقاء والحياة لديها. هكذا الغربة ماهية الأنا والآخر، لكن من دون غربتها لا تحيا الأنا كما لا يحيا الآخر. كما تتياقن الأنا مع ذاتها فتسعى سعيًا دائمًا نحو أن تتطابق مع ذاتها وتتيقن بها. لكن بمجرد أن تسعى إلى تحقيق ذاتها والتطابق معها، فهي تغترب عن أناها الحاضرة وبذلك يستحيل عليها التطابق مع ذاتها والتيقن بها فتظل في سعي مستمر إلى تحقيق هذا التطابق وذاك التيقن.

بالإضافة إلى ذلك، العلاقة التياقنية بين الأنا وذاتها من جهة والأنا والآخر من جهة أخرى تفسِّر لماذا تبقى المفاهيم المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالذات الإنسانية غير مفهومة وغير مُتيقن بها. فبما أن الأنا تسعى سعيًا مستمرًا إلى أن تتطابق مع ذاتها لتتيقنها كما تسعى

إلى التطابق مع الآخر لتتيقن به، ولا يتحقق هـذا التطـابق فـلا يتحقق هذا التيقن، إذن من غير المستغرب أن تبقى مفاهيم الأنـا والإنسان والحياة غير مُتيقن بها. هكذا تتنبأ التياقنية بأنه يستحيل فهم الأنا والإنسان والحياة بشكل كامل وحق لأن الأنا بإنـسانيتها وحياتها مجرد سعي نحو التطابق مع ذاتها، وفـي هـذا حياتهـا وإنسانيتها.

تياقنية الكون

كما تسعى الأنا إلى التطابق مع ذاتها والتيقن بها، يسعى الكون إلى التطابق مع ذاته والتيقن بها. التياقن يحكم الكون وعلاقته بذاته؛ وظيفة الكون كامنة في أن يتيقن نفسه. ولأن الكون سعي دائم نحو أن يتيقن ذاته ويتطابق معها، إذن لا يتحقق هذا التيقن وذاك التطابق ما يجعل الكون في تغير وتحوّل وتبدل مستمر بهدف تحقيق ذاته والتطابق معها والتيقن بها. هكذا التياقنية تفسِّر لماذا يتبدل الكون ويتغير بشكل مستمر ودائم. بالنسبة إلى التياقنية، لا يتيقن الكون بنفسه فيبقى جاهلاً بما يحدث فيه. لذا يجهل الكون ما إذا كانت جسيماته جسيمات أم موجات كما تؤكد ميكانيكا الكمّ. وبما أن الكون يجهل ذاته ولا يحقق ذاته أبدًا، إذن يبقى الكون غير محدَّد وبذلك من الطبيعي أن توجد نظريات علمية عديدة كلها ناجحة من تفسير الكون رغم اختلافها وتعارضها. هكذا تفسِّر التياقنية نجاح النظريات العلمية واختلافها في الوقت نفسه. الآن، الكون الواقعي هو مجموع الأكوان الممكنة المختلفة، وبذلك لا يتطابق الكون مع ذاته فلا يتيقن بها كما تؤكد التياقنية. والكون مجموع الأكوان الممكنة لأنه علميًا بالنسبة إلى ميكانيكا الكمّ كل تواريخ الجسيم الممكنة محققة في الوجود. من هنا لتياقنية الكون أساس علمي صلب.

تياقنية البحث

لا يوجد يقين محض كما لا يوجد لا يقين محض. بل ثمة تياقن فقط. والتياقن هو التقلب المستمر بين اليقين واللايقين بحيث تتحوّل اليقينيات إلى لايقينيات باستمرار وتتحوّل اللايقينيات إلى يقينيات بشكل دائم. وهذا أساس أي بحث معرفي أو علمي. فلو انطلقنا من يقينيات فلن نتحرر منها ولن نصل إلى نتائج جديدة لأننا حينها نحن على يقين بها وليس بغيرها. وإذا استنتجنا يقينيات فسوف تسجننا فيها ما يمنعنا من الاستمرار في البحث. أما إذا انطلقنا من لايقينيات أو استنتجنا لايقينيات، فهذا سوف يحبط أبحاثنا لأنه حينها لا نصل إلى أية معرفة. على هذا الأساس، التياقن هو الأصل في البحث المعرفي والعلمي. فمتى تقلبنا بين يقين ولا يقين يستمر بحثنا إلى ما لا نهاية. هكذا ينتصر التياقن على اليقين واللايقين.

التفاردية وأخواتها

بالنسبة إلى التفاردية، كل شيء يسعى إلى أن يتفرد بصفات وهوية مختلفة عن الأشياء الأخرى كافة. أي أن الوظيفة الأساسية لأي شيء تكمن في مسعاه نحو تحقيق اختلافه عن كل شيء آخر. والسبب في ذلك أنه إذا لم يتفرد وينفرد الشيء بهوية وصفات خاصة به لن يتميز عن الأشياء الأخرى وبذلك لزال من الوجود. وبما أن كل شيء يهدف إلى تفرده واختلافه، إذن من الطبيعي أنه غير متفرد وغير مختلف أصلاً عن الأشياء الأخرى المتنوعة. من هنا الأشياء والحقائق كافة تتفارد بمعنى أنها تحيا في عملية أن تصبح متفردة ومختلفة وبذلك تبقى متشابكة ومتحدة. لكن كيف من الممكن للأشياء أن تتفرد وتختلف وأن تكون متشابكة ومتحدة في آن؟ من الممكن ذلك لأن كل الأشياء حقول كالحقل الكهربائي والحقل المغناطيسي؛ فالحقول الطبيعية مختلفة لكنها تتحد وتتشابك. فمثلاً الحقل الكهربائي يختلف عن الحقل المغناطيسي لكنهما يتحدان في حقل واحد كما يرينا العلم المعاصر. والقوى الطبيعية كالجاذبية والقوى النووية مختلفة ومتفردة لكنها متحدة في اختزالها إلى ذبذبات الأوتار القائمة في الأبعاد الإضافية التي تتكلم عنها نظرية الأوتار العلمية.

هكذا تتفارد الأشياء والحقائق والظواهر فتغدو متنوعة وتبقى متحدة. التفاردية هي فلسفة التفارد. والتفارد مشتق من التفرد والفرد. فالأشياء تتفارد بدلاً من أن تنفرد وتتفرد. وهذا يعني أن الأشياء في صيرورة أن تصبح متفردة ومتميزة عن بعضها البعض ما يتضمن أيضًا تشابكها واتحادها ووحدتها.

أما التواحدية فمصطلح مشتق من التواحد المشتق بدوره من الواحد. ومدلول التواحدية هو التساؤل: كيف من الممكن أن تتجه الظواهر نحو اختلافها وتوحدها في آن؟ فالتواحدية تعتبر أن الأشياء والحقائق والظواهر تحافظ على اختلافها ووحدتها في الوقت نفسه. لكن كيف يحدث ذلك؟ يحدث ذلك تمامًا كما يحدث مع القوى الطبيعية. فإذا نظرنا إلى الوحدة الأصغر في بنية الكون كالوتر وذبذباته مثلاً سنجد وحدة القوى الطبيعية كالقوى الكهربائية والمغناطيسية والجاذبية والقوى النووية. أما إذا كبّرنا صورة الكون ونظرنا إلى أجزائه الكبرى سنرى اختلاف تلك القوى الطبيعية وتنوعها. وهذا ما تؤكده العلوم المعاصرة. من المنطلق ذاته، إذا نظرنا إلى أجزاء الكون الكبرى سنجد اختلاف الأشياء والحقائق والظواهر. أما إذا نظرنا إلى أصغر وحدة في الكون فسنرى وحدة الأشياء والحقائق والظواهر. من هنا تتجه الأشياء والظواهر والحقائق نحو اتحادها واختلافها في آن وتحافظ على اختلافها وتوحدها في الوقت نفسه.

أما التواجدية فتقول إن الأشياء لا توجد بل تتواجد بمعنى أنها تحيا في صيرورة سعيها نحو أن توجد. لذا الأشياء والظواهر في تغير مستمر ومن غير الممكن تحديدها. كما أن التواجدية تفسِّر وجود الجسيمات الافتراضية التي تؤكد عليها الفيزياء. بالنسبة إلى علومنا المعاصرة، العدم ليس عدمًا مطلقًا بل تحتشد فيه الجسيمات الافتراضية التي تولد منه ومن ثم تختفي فيه بسرعة هائلة. هكذا الأشياء والحقائق تتواجد بمعنى أنها في حالة سعي دائم نحو أن توجد فلا هي موجودة فعلاً ولا هي معدومة فعلاً. بالإضافة إلى ذلك، بما أن الأشياء تتواجد بدلاً من أن توجد، إذن من المتوقع عدم الاختلاف الجذري بين الوجود والعدم. وهذا ما تقول به العلوم. فمثلاً لا يختلف العدم عن الوجود لأن العدم يتكوّن من طاقات مختلفة متعارضة فتختزل بعضها البعض فيحدث العدم. وإذا ما جمعنا طاقات الكون ولكونها طاقات سلبية وإيجابية متعادلة ستكون نتيجة طاقة الكون صفرًا. هذا بسبب أن الأشياء والحقائق والظواهر لا توجد بل تتواجد أي تحيا في سعي مستمر نحو أن توجد وتكون. هكذا تنجح التواجدية في نشر فكرتها. من المنطلق ذاته، بالنسبة إلى التعادمية، الأشياء لا تنعدم بل تتعادم أي أنها في عملية أن تصير عدمًا فلا يتحقق العدم الفعلي ولا يتحقق الوجود الفعلي. وهذا يفسِّر ما يحدث في الثقوب السوداء. لقد جرى الخلاف بين العلماء حول مصير المواد والمعلومات التي

تسقط في الثقب الأسود فمنهم من أصرَّ على أن المواد والمعلومات تزول في الثقوب السوداء، لكن هذا يعارض مبدأ حفظ الطاقة والمادة وهو قانون علمي مقبول بقوة. ومنهم من أصرَّ على أن المواد والمعلومات لا تزول فعلاً في الثقب الأسود، وهذا يعارض تعريف الثقوب السوداء ألا وهو أنها المبتلعة والمفنية للمواد والمعلومات. هكذا وقعنا في معضلة حلّها على يد التعادمية. بالنسبة إلى التعادمية، تسير الأشياء نحو أن تنعدم، وبذلك المواد والمعلومات التي تسقط في الثقب الأسود تحيا في عملية أن تصبح معدومة ما يتضمن أنها لا تنعدم فعلاً وبذلك نحافظ على مبدأ حفظ الطاقة والمادة. من جهة أخرى، بما أن الأشياء في عملية أن تمسي عدمًا، إذن المعلومات والمواد الساقطة في الثقوب السوداء قائمة في مسعاها نحو أن تنعدم، وبذلك نحافظ على تعريف الثقب الأسود على أنه المبتلع والمفني للمواد والمعلومات الساقطة فيه. هكذا تحل التعادمية المعضلة السابقة وتكتسب مقبوليتها. بالإضافة إلى ذلك، بما أن كل الأشياء تحيا في مسعاها نحو أن تنعدم، إذن من الممكن وصفها على أنها غير موجودة وعلى أنها موجودة. فمثلاً من الممكن اعتبار الكون يتكوّن من صفات بدلاً من أشياء كما من الممكن اعتبار أن الكون يتشكّل من أشياء. هكذا تفسّر التعادمية تعدد التفاسير والنظريات.